مجلة المنهل ـ المجلد: 08، العدد: 01 (2022 م) ـ ص ص 791 – 802
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

الدروس المستفادة من منهج عمر بن عبد العزيز ــ ﷺ ــ في القضاء على ظاهرة الفقر

The Learned Lessons from Omar Ibn Abdal Aziz's Approach in Eradicating Poverty

د. ناصري عبد العزيز (*)
مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا
جامعة أحمد دراية ـ أدرار (الجزائر)
nasri1481@univ-adrar.edu.dz

د. لمطوش لطيفة
مخبر التكامل الاقتصادي الجزائري الافريقي
جامعة أحمد دراية- أدرار (الجزائر)
lemtaouchlatifa@univ-adrar.edu.dz

د. بلعابد فايزة
مخبر التكامل الاقتصادي الجزائري الافريقي
جامعة طاهري محمد ـ بشار (الجزائر)
belabed.faiza@univ-bechar.dz

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/07/04	2022/01/07	2022/06/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

يعتبر الفقر ظاهرة معقدة وقاسية من جميع الجوانب، فضيق ذات اليد وفقدان السبل والحلول المناسبة للقضاء على هذه الظاهرة من جذورها يجعل امتدادها يتعدى الجيل الواحد وقد يصبح متوارثاً خاصة في الدول النامية الفقيرة والأشد فقراً. ومن هنا ترى الدول النامية والمتقدمة على حد سواء تحارب هذه الظاهرة ولكنها لازالت موجودة بنسب مختلفة. ومن هنا جاءت هذه الورقة لعرض منهج عمر ابن عبد العزيز في القضاء على الفقر في فترة وجيزة؛ وما هي الدروس المستفادة من هذه التجربة المتميزة التي جعلت أموال المسلمين تكفيهم وتفيض عليهم. اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي والاستنباطي للخروج بتوصيات لحل هذه المشكلة المعقدة. فالرؤية المستنيرة التي تحلى بها عمر ابن عبد العزيز في التعامل مع هذه الظاهرة بجدية واجتثاث جذور الفساد المؤدية لها؛ فيها من العبر التي يجب الوقوف عندها وإدراجها في السياسات التصحيحية والتنموية لكل بلدان العالم و خاصة الفقيرة منها.

الكلمات المفتاحية: الفقر؛ المنهج ؛ الحلول؛ عمر ابن عبد العزيز ـ ﷺ ..

Abstract:

Poverty is considered as a complex and a cruel phenomenon in all sides. The misery that the poor face and the lack of finding the appropriate solutions to eliminate this phenomenon from its roots makes it exceeding one generation and may become inherited, especially in poor and poorest developing countries. Hence, developing and developed countries alike are fighting against this phenomenon which is existed in different proportions in these countries. This paper presents the approach of Omar Ibn Abdal Aziz in the eradication of poverty in a short period of time and what are the learned lessons from this outstanding experience that made the funds of Muslims enough and overflowing. This enlightened vision in dealing with poverty seriously and rooting out the corruption leading to it in an effective way is one of the best lessons that should be considered and included in the corrective and development policies in all countries of the world, especially the poor ones.

Keywords:

Poverty; Approach; Solutions; Omar Ibn Abdal Aziz.

(*) المؤلف المراسل.

1. مقدمة

يعد العيش الكريم والوفرة في الإنتاج والعدالة في توزيع الدخل من أهم الأهداف التي تسعى الحكومات إلى بلوغها وحتى المنظمات العالمية كالأمم المتحدة، إذ نلاحظها تركز في تقاريرها على تكافؤ الفرص وحسن توزيع الموارد بين السكان، غير أن الواقع المعاش في جميع بلدان العالم وخاصة المتخلفة منها يعكس ظاهرة قديمة جديدة لازالت متواجدة بقوة في البلدان الفقيرة وتشتد وطأتها لتخلق مجاعات وحروب على الأراضي والغذاء، وكذا انتشار الأمراض والأوبئة ومنها: ظاهرة الفقر؛ هذا المصطلح المخيف الذي لا يأبى أن يكون إلا من نصيب الدول النامية والمستعمرة سابقاً، فمهما تنوعت وتجددت السياسات والقرارات المتخذة للقضاء على هذه الظاهرة الصعبة، نجدها لازالت قائمة ومستشريه في البلدان النامية، فتارة يعزى ذلك للنمو الديموغرافي بهذه المناطق، وتارة يعزى للجهل.

ولكن بإيمان عميق ندرك أن الموارد التي خلق الله ـ ﷻ ـ لابد أن تكفي عباده وتزيد، ومن هنا جاءت هذه الورقة لعرض رؤية الإسلام من خلال منهج عمر ابن عبد العزيز في مكافحة آفة الفقر. وانطلاقاً مما سبق يطرح التساؤل التالي:

كيف عالج عمر ابن عبد العزيز مشكلة الفقر وماهي الدروس المستفادة من منهجه؟

فسياسة هذا الرجل الحكيم ماهي إلا تنفيذ مباشر لأوامر العزيز العليم، والتي وجد فيها من نفع العباد وإرجاع الحقوق التي حرمت منها الكثرة الكثيرة من الرعية، ما يغنيه عن سن قوانين وتشريعات وضعيه يراها هو في نظره قاصرة.

وللإجابة على إشكالية هذه الورقة البحثية سيتم اتباع المنهج الوصفي والاستنباطي للخروج بتوصيات واقتراحات للقضاء على مشكلة الفقر، ولهذا تمَّ تقسيم هذه الورقة إلى محورين؛

ففي المحور الأول يتم التعريف بالمصطلحات الأساسية ونعطي نبذة مختصرة عن حياة هذا الحاكم العادل.

ثم يتناول المحور الثاني سياسة عمر ابن عبد العزيز في تسيير المال العام والمحافظة عليه للقضاء على الفقر ثم الدروس المستفادة من منهجه في اجتثاث جذور هذه الظاهرة المدمرة.

2ـ المحور الأول: مفاهيم أساسية

فيما يلي سيتم تناول تعريف الفقر والفقير وعتبة الفقر، ثم يتم التطرق إلى نبذة مختصرة عن حياة عمر ابن عبد العزيز.

أولاً: مفاهيم أساسية

تعريف الفقر لغة: وهو العوز والحاجة (ابراهيم و اخرون، 1384هـ، صفحة 697)

تعريف الفقير: وهو من لا يملك إلا أقل القوت (ابراهيم و اخرون، 1384هـ، صفحة 698)

3- تعريف عتبة الفقر: وهو معيار كمي يحسب بدولار واحد أو دولارين لليوم الواحد، فهذا المعيار يعد وهماً كبيراً لتدني قيمته، فقيمة دولار أو دولارين لليوم هل تسدد تكاليف الأكل أو المأوى أو التعليم أو الصحة ...؟ وغيرها الكثير من الضروريات الملحة لعيش الإنسان بكرامة، كما يعد هذا المعيار تعسفاً كبيراً في تخفيض يسر الفقراء، فهذه القيمة هي من نصيب الدول النامية عادة (زبيري، 2015، صفحة 109).

ثانياً: نبذة مختصرة عن حياة عمر ابن عبد العزيز

فيما يلي سيتم التعرض إلى مولد هذا الرجل الكريم العادل، ونشأته وتعليمه وشخصيته:

1- **مولده الطيب:** هو عمر ابن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين، أبو حفص، القرشي الأموي، المدني ثم الدمشقي. ولد بالمدينة المنورة سنة ستين للهجرة (عبد الستار، 1996م، صفحة 20). تزوج أبوه عبد العزيز ابن مروان ابن الحكم الشجاع الكريم الجواد أمه العفيفة الطاهرة ليلى المكناة بأم عاصم، والتي تنحدر من سلالة عمر ابن الخطاب . ﷺ . إثر الحادثة الشهيرة في سيرته العطرة أين كان يتجول ليلاً ليتفقد أحوال رعيته فوخزه البرد فأوى إلى جدار بيت صغير هو وغلامه فسمع حديث المرأة لابنتها وهي تقول لها أن تزيد الماء للبن؛ لأن ما جادت به شاتهما قليل جداً. لكن الفتاة أبت فسمع حوارهما عمر . ﷺ . وفي الصباح أرسل وراءهما ودعا بنيه وقال هل فيكم من يحتاج امرأة زوجة فقال عاصم أنا يأبي، فزوج الفتاة له فأنجبت لعاصم بنتاً وأنجبت البنت لعبد العزيز ابن مروان عاصما، وأبا بكر، ومحمدا وعمر خامس الخلفاء الراشدين وهو أشهر إخوته . ﷺ . ، وبهذا فجد أمه هو الأمير الراشد عمر ابن الخطاب . ﷺ .. وهكذا اجتمع لعمر ابن عبد العزيز . ﷺ . طيب الأصل، وطهر الأجداد ونقاؤهم وتدينهم من جهة أمه وأبيه (عبد الستار، 1996م، صفحة 24).

2- **نشأته وتعليمه:** نشأ عمر بن عبد العزيز . ﷺ . في محضن الخلافة وتنفس في أجوائها منذ لحظاته الأولى، وبهذا تشكلت له أسباب الخير والفضيلة فقد كانت تظهر في وجهه علامات النجابة وإمارات النبوغ. تفتحت عينا عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . في المدينة المنورة. فأخذ يتردد على المسجد النبوي منذ صغره وينهل العلم عن كبار أشياخه مثل عبد الله ابن عمر . ﷺ . عم أمه –أم عاصم – ويأخذ عنه الحديث النبوي الشريف.

وكان من عادة الخلفاء والأمراء أنهم يعتنون بأبنائهم فيضعون لهم المعلمين والمؤدبين لكي ينشئوا على المكارم والفضائل والمعالي، وأول ما كانوا يعتنون به هو كتاب الله الكريم. فقد رأى عبد العزيز ابن مروان على ابنه مظاهر العظمة والورع فاختار له مربين من علماء مصر وقرائها، فحفظ القرآن الكريم منذ صغره (محمد بن جرير، 1387هـ، صفحة 551).

ثم رغب عمر . ﷺ . في أن يعود إلى المدينة المنورة ليقعد بين يدي فقهائها ويتأدب بآدابهم أين نزلت هذه الأمنية منزلة الرضا والفخر لدى أبيه، فأختار لابنه أصلح الصلحاء وأرسخ العلماء وأزهد الأتقياء، وكان يتعهده ويسأل عنه. وبلغ عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . من الحصافة أنه" قعد مع مشايخ قريش، وتجنب شبابهم، ومازال ذلك دأبه حتى اشتهر بالعلم والعقل، مع حداثة سنه" (عبد الستار، 1996م، صفحة 28). وهكذا أطال عمر . ﷺ . الجلوس لدى الأشياخ و العقلاء وأعيان العلم في المدينة المنورة. وتعلم عن سيد التابعين سعيد ابن المسيب . ﷺ . ، اين نبغ في تعلم العلم عن صالح ابن كيسان وغيره من العلماء مع التقوى والورع. وبهذا تأثرت شخصية هذا الرجل الصالح ببدايات مباركة أرست أساسه في البناء العلمي والروحي وأهبته للجدية في الأمور والحزم في المواقف وإمعان الفكر واتباع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

توفي عبد العزيز ابن مروان سنة 85 هجرية، وبهذا انتقل عمر . ﷺ . إلى كنف عمه عبد الملك ابن مروان الذي ضمه وقدمه على ولده وزوجه بابنته فاطمة، والذي عرف بعلمه الواسع وقد كان أحد كبار فقهاء المدينة المنورة. فكان عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . يحضر مجالس عمه ويشهد حوارات العلماء والفقهاء والشعراء فأكتسب الكثير من المعرفة في سياسة شؤون الرعية وأمور الحكم. وهذا من تمام نعم الله عليه أين هيأ له في وقت مبكر أسس القيام بأعباء الخلافة.

3- **شخصيته:** عاش عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . في القصور وكان من نبلاء زمنه فقد كان يلبس أغلى الثياب ويتعطر بأثمن العطور، كونه أنه كان يحس نفسه واحدا من الرعية فقد ظهر في هذه المرحلة من حياته أميرا ثريا، منصرفا منذ نشأته إلى طلب العلم ومجالسة الشيوخ مخالفا بذلك أقرانه. ثم بدى عمر . ﷺ . في صورة ثانية بعد الخلافة؛ فقد كان نحيل الجسم يلبس اخشن الثياب بعدما أمست خزائن المال

تحت يده وهذه آية الإعجاز في شخصية هذا الإمام العادل من أهل الدين والفضل الذي فضل دينه على دنياه ويخشى الله ـ ﷻ ـ في كل مقام ومقال، فمن ذلك المنشأ الطيب والعلم الذي كان يقدسه؛ تكونت لدى هذا الرجل شخصية قوية، عليمة، حازمة، ورعة وعادلة لم يظهر بعدها مثيل في الحق. وفي هذا قال عنه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني أنه "كان واحد أمته في الفضل، ونجيب عشيرته في العدل، جمع زهدا وعفافا، وورعا وكفافا، شغله آجل العيش عن عاجله، وألهاه إقامة العدل عن عاذله، كان للرعية أمنا وأمانا، وعلى من خالفه حجة وبرهانا، كان مفوها عليما، ومفهما حكيما" (أبي نعيم، 1409هـ، صفحة 204). فقد كان رجلا من طراز فريد أمام مسؤولياته فقد أنهك جسده بكل طاقاته ومواهبه ليكون مشعلا مضاءا لرعيته. يخدم مصالحهم ويدرئ عنهم المفاسد والظلم الذي وقع عليهم. فقد كان ينفذ الأحكام ويرجع الحقوق ولا يخاف في الله ـ ﷻ ـ لومة لائم (مفلح النمر، 2011، صفحة 48).

3ـ المحور الثاني: سياسة عمر ابن عبد العزيز ـ ﷺ ـ في تسيير المال العام والقضاء على الفقر

قبل التطرق إلى السياسة الرشيدة التي اتبعها عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . في القضاء على مشكلة الفقر في بلاد المسلمين، لابد أن نذكر سياسته العامة مع أهله ورجالات دولته.

أولاً: منهج عمر ابن عبد العزيز ـ ﷺ ـ مع عشيرته ورجالاته

كان عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . شابا مفعما بالحياة وحب التعلم وكان يخشى الله ـ ﷻ ـ و يتقرب من مجالس العلم، فلما لمس منه ذلك تمَّ توليته خناصرة؛ وهي مدينة صغيرة بسوريا، ثم بعد أن أثبت مهارته في الإدارة تم تكليفه ليكون والي للمدينة المنورة سنة 87 للهجرة، وبعد أن نجح بها أصبح والياً للحجاز كلها سنة 91 للهجرة، وبعدها تمَّ عزله بوشاية من الحجاج بن يوسف الثقفي لحقده الشديد عليه أين كان الناس يتركون العراق ويسكنون الحجاز حبا في عدل عمر ابن عبد العزيز . ﷺ .. فهذا العزل لعب دورا محوريا في نجاح هذا الخليفة الراشد، فبعد عزله عاد إلى دمشق وأصبح مقربا للخليفة الجديد سليمان ابن عبد الملك ومستشارا له وظل ينصحه مدة 03 سنوات في أمور الحكم ما ساعده أن يعرف نقاط القوة والضعف في الخلافة الأموية، وأرشده للولاة الظالمين الفاسدين. وبعد وفاة سليمان ابن عبد الملك استلم عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . الخلافة بعد المبايعة فكان هذا الرجل رجلاً عالماً حكيماً فقد قام بعزل كل الولاة الظالمين الفاسدين، كما حمل نفسه وعائلته وعشيرته وعمال دولته وجميع أجهزتها المسؤولية اتجاه الرعية وكيف يجب أن يكونوا محل القدوة الصالحة الصادقة، وكيف يجب أن تكون المعاملة للرعية في الدولة حناناً ورحمة وكفاية ورغدا للناس قبل الحاكم. فقد عمل في البداية على إحقاق الحق وإفشاء العدل في دولته ، يقول ابن تيمية "إن الله ـ ﷻ ـ ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة" ودين الله ـ ﷻ ـ هو دين

الحق، فقد وعى عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . مكانة وأهمية العدل في تأسيس الدولة فأول ما بدأ به هو رد المظالم إلى أهلها رغم صعوبة تتبع جميع المظالم وأخذها لوقت كبير، ولكن إيمانه بأن العدل أساس الملك وأنه من دونه لا تقوم قائمة للدولة ولا يمكن الوثوق بسياستها، فإنه بدأ من نفسه و أهله وبدأ في إرجاع الأراضي والأموال، وقام بإنهاء الامتيازات المقدمة لبني أمية من أراضي وأموال والتي تمَّ أخذها بطريقة غير عادلة، وهي في الأصل حق لجميع المسلمين. حتى أنه في يوم من الأيام دخلت عليه عمته فقالت: " إن قرابتك يشكونك، ويزعمون أنك أخذت منهم خير غيرك! قال ما منعتهم حقا أو شيئا كان لهم. فقالت: إني رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيبا! فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة؛ فلا وقاني الله شره" (ابن سعد، 2001م، صفحة 364). فقد وقف أهله أمام الحق مثل آحاد الرعية ونئى بهم عن الحرام، بل شدد عليهم أكثر لعلمه مكانتهم في الرعية وما قد تسول لهم أنفسهم في الامتياز عن الناس. وهذا بهدف أن يجعل نفسه وأهله قدوة عفيفة أمينة على الأمة وأموالها، فقد كان ـ ﷺ ـ يأكل أقل الأكل وأضعفه، وبقي على هذا النهج حتى آخر يوم في حياته.

فعمر ابن عبد العزيز . ﷺ . الرجل الحازم في الحق لم يكن يرى المال نقمة، ولا الغنى بابا إلى النار و الفقر مفتاحا للجنة، كلا ؛ بل أنه لا يرضى لنفسه وهو أمير المؤمنين ولبنيه وأهله أن يستغنوا ويعبوا من النعيم، وفي أطراف دولته فقير ومحتاج وعليل وجائع، إنما بعد أن يستغني هؤلاء؛ فمن حق آل عمر أن يفعلوا مثلهم أنذاك (عبد الستار، 1996م، صفحة 251). فقد كان عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . يرى من منصب المسؤولية أنه يجب أن يكون آخر من يشبع؛ وأول من يجوع هو وأهله ليكون قدوة لمجتمعه، ولا يضيع مسؤولياته. فبتورعه قد بلغ أقصى ما يمكن أن يبلغه مسؤول يخاف الله ـ ﷻ ـ ويخشى اليوم الآخر. فبعزله للولاة الفاسدين الذين تلطخت أيديهم بالفساد والظلم، راح يتخير ولاته من الأكفاء والأمناء والعلماء والحكماء والعقلاء. وبهذا ولى عمر . ﷺ . على الرعية ولاة ثقات من الخيرين الأبرار وفي هذا يقول ابن كثير: "وقد صرح الكثير من الأئمة أن كل من استعمله عمر ابن عبد العزيز ثقة"، وعزل عدة ولاة بسبب الفساد والظلم؛ من بينهم أسامة بن زيد والي مصر في عهد سليمان، ويزيد بن أبي مسلم والي إفريقيا وغيرهم (المصري، 1984م، صفحة 37) .

كما كان من عبقريته في إدارة الدولة أنه وسع على الولاة في العطاء وفرض لهم رواتب كبيرة ليتفرغوا لشؤون الرعية ولا يشغلهم كسب الرزق، فكان يفرض لهم مئتي دينار وأكثر فسُئل: لما ذلك ؟ قال: أردت أن أغنيهم عن الخيانة، كما منع ولاته من التجارة فقال أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز . ﷺ .:

" لا يحل لعامل تجارة في سلطانه الذي هو عليه، فإن الأمير متى يتجر يستأثر ويصب أمورا فيها عنت، وإن حرص على ألا يفعل" (مفلح النمر، 2011، صفحة 253)، كما تعامل مع ولاته باللامركزية

في التسيير وأطلق لهم الحرية في التسيير ولا يشاورونه إلا في أهم الأمور. كما كان يتعهد ولاته برسائل تذكرهم بمسؤوليتهم أمام الناس وأمام الله ـ ﷻ ـ وأنهم يجب أن يقيموا الحق وينشروا العدل حتى قالوا: "ما طلع علينا كتاب عمر بن عبد العزيز . ﷺ . من الثنية إلا بإحدى ثلاث: إحياء سنة، أو إماتة بدعة، أو قسم يقسمه بين المسلمين (أبو زكريا، صفحة 20). كما كان دائم التذكير لولاته لكي لا يخرجوا عن جادة الصواب ومن رسائله" أما بعد: فإذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد، فأذكر قدرة الله ـ ﷻ ـ عليك، وذهاب ما تأتي إليهم، وأعلم أن ما تأتي إليهم أمرا إلا كان زائلا عنهم، باقياً عليك، وأن الله تعالى أخذ للمظلوم من الظالم، فمهما ظلمت من أحد، فلا تظلمن من لا ينتصر عليك إلا بالله ـ ﷻ ـ" (المصري، 1984م، صفحة 42).

وكان هذا شأنه مع كل موظفي الدولة وأجهزتها من ولاة ووزراء وقضاة وأمناء بيت المال ومسؤولي الأمن ... وغيرهم الكثير، فإلى جانب الكفاءة كان يتطلب في مسؤولي الدولة التعليم الديني، وفي هذا كتب إلى عماله "إياكم أن تستعملوا على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن، فإنه إن لم يكن عند أهل القرآن خير، فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير " (أبوبكر محمد، 1872م، صفحة 137)، وبهذا أحاط هذا الخليفة الحكيم نفسه ببطانة صالحة خاض بها غمار الحكم والسياسة، فقدم للبشرية معجزة باهرة في العصر الأموي من إصلاحات معمقة تمت على يديه في مدة حكم وجيزة.

ثانياً: سياسة عمر ابن عبد العزيز ـ ﷺ ـ في أدارة المال العام والقضاء على الفقر

كانت فلسفة هذا الخليفة الحكيم هو أن العدل وإقامة الحق كفيلان بتدبير أمور الحكم وحل أهم معضلاته، فكانت رؤيته تتركز في صلاح الحال لا في كثرة الأموال، لأنه يرى أن هذه الأموال هي للصرف وإعالة الناس وكل من تحق له، وليست للاكتناز والإسراف والترف للطبقة الحاكمة. فوضع الدولة من قبله ومن بعده لم يكن ينقصها المال؛ وإنما كان ينقصها اتباع الحق في تقاضيه، واتباع الحق في توزيعه، وبعث حرمة الأموال العامة في ضمير الحاكم والمسؤولين وكل فرد في الأمة (عبد الستار، 1996م، صفحة 290) .

1ـ مصادر المال العام خلال فترة حكمه

تجتمع في الخزينة (بيت المال) عدة أموال منها: الزكاة والخراج وضرائب الجزية والغنائم والتركات التي لا وارث لها، وغيرها، كما أضاف الخليفة عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . في عهده إليها أموال أخرى جاءت من رد المظالم؛ كالأموال التي خصصت إلى الأمراء وأشباههم، وانتزاع الأراضي من أيديهم وردها إلى الدولة، كما أنه باع أنعاماً كانت للحجاج وردها على المسلمين وكان عددها ألف رأس. كما أنه باع سرادقات قصر الخلافة ومراكبها وجعل أثمانها في بيت المال ووفر على الخزينة علوفتها وأجرة سائسيها.

يروى أنه جاءه صاحب الرقيق يسأله أرزاقهم وكسوتهم وما يصلحهم وكانوا كذا كذا وألف !! فأمر

بتوزيعهم على المرضى، العميان، والعاجزين لخدمتهم. كما كان رجال الشرطة وبعض رجال الدولة يحملون سيوفاً محلاة بالذهب والفضة، فأمر عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . بنزع هذه الزينة منها وضمها إلى بيت مال المسلمين. فكان ـ ﷺ ـ يتحرى الحلال في جمعه، فليست المسألة عنده بالكثرة بل هي في الوفرة. فقد ألغى هذا الخليفة الضرائب التي أرهقت كاهل الناس ووضع عنهم الجمارك (المكوس) (عبد الستار، 1996م، صفحة 299 ـ 301) . كما كان يضع الجزية حتى عن من أسلم آخر العام، كما أنه ألغى الجزية عمن لم يقدر دفع ثمنها كالعاجزين أو نحو ذلك اقتداءاً بجده عمر ابن الخطاب ـ ﷺ ـ كما ألغى الضريبة على المعبر والجسور. كما كان ـ ﷺ ـ يصنف الأموال التي ترد إلى بيت مال المسلمين حسب مصارفها الشرعية الثمانية. كما أنه أمر بضرب النقود؛ فكتبوا عليها أمر عمر بالوفاء والعدل فقال ـ ﷺ ـ: " أكسروها واكتبوا أمر الله ـ ﷻ ـ بالوفاء والعدل".

2ـ قداسة المال العام عنده والمحافظة عليه

كان عمر عبد العزيز . ﷺ . ينظر إلى الأموال العامة نظرة عميقة مدركة، و شاملة على أنها حقوق شائعة لكل فرد في الأمة: لكل يتيم وأرملة، ولكل مسكين وفقير، ولكل مسن ورضيع، ولكل عاجز ومقعد ومريض، قريباً كان أو بعيدا. فكانت هذه الأموال تتمتع عنده بحرمة عظمى يتساوى فيها الدينار والألف؛ فهي أمانه استرعاه الله ـ ﷻ ـ فيها، و ائتمنه الناس عليها. فكان السبيل الوحيد لأداء هذه الأمانة هو اتباع الهدي النبوي وسيرة الخلفاء الراشدين خاصة جده أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ـ ﷺ ـ الذي أعطى للنظام المالي في الإسلام صفته التفصيلية خلال خلافته.

فقد سطر هذا الخليفة بسلوكه ما يذهل العقول. يروى أنه كتب إليه أبو بكر ابن حزم ثلاث حاجات في ثلاثة كتب(رسائل) فرد عليها أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز ـ ﷺ ـ في رسالة واحدة وكتب في آخرها " أن أدق قلمك، وقارب بين سطورك، واجمع حوائجك، فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به. والسلام " (ابن عساكر، 1995م، صفحة 140). فقد كان ـ ﷺ ـ يأبى أن يضيع أموال المسلمين مهما قلت فيما لا ينتفعون به، وهنا تظهر رشادته وحكمته في التعامل مع الأموال العامة كونه يعلم أن الفساد يتطور من القليل إلى الكثير فمن يسرف في قلم، يهون عليه ما هو أكبر منه. فكان ـ ﷺ ـ له سراجان سراج من ماله يكتب به حوائجه، وسراج من بيت المال يكتب عليه لمصالح المسلمين، فقد كان لا يكتب على ضوء هذا الأخير لنفسه حرفاً واحدا. وبهذا كان يسطر لرعيته مبادئ حسن إدارة الأموال العامة والمحافظة عليها.

ثالثاـ منهجه في القضاء على الفقر

القارئ لسيرة هذا الرجل الرشيد . ﷺ . يتعجب في هديه في جمع المال، فبدل أن يزيد مصادر الدخل العام ويطلب الكشف عن المزيد من الموارد، إذ بنا نجده يلغي الكثير من تلك المصادر والموارد.

فكانت فلسفة هذا الإمام الحكيم هي قليل حلال مشروع خير من كثير مغتصب ومسألة تصفية وتنقية وليس استكثار يحطم بعضه بعضاً. ولما عرف عنه الثقة والعدل سارع الناس في أداء زكاة أموالهم عن طيب نفس. وفي هذا قال عمر ابن أسيد " والله ما مات عمر ابن عبد العزيز، حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول اجعلوا هذا حيث ترون. فما يبرح حتى يرجع بماله كله، قد أغنى عمر الناس " (الذهبي، 1985م، صفحة 131). كان يرى عمر ابن عبد العزيز . ﷺ . أن الغاية من وجود بيت المال ليس لتكنز فيه الأموال، وإنما لرفاه الرعية ورفع مستواهم المعيشي حتى لا يبقى فقير أو محتاج.

ففي عهد الخلافة الراشدة لم يكن بيت المال يأتي عليه آخر العام إلا كان فارغا من كل شيء حتى أن عمر الفاروق ـ ﷺ ـ كان يوزع ما تبقى منه قبل نهاية العام. فقد كفل عمر ابن عبد العزيز ـ ﷺ ـ اليتامى الذين لا عائل لهم في كل أقطار الدولة الإسلامية، ووفر لكل مريض خادما، ولكل أعمى من يقوده ويخدمه، وأمر بإحصاء الغارمين والمدينين فقضى عنهم ديونهم، وافتدى بالمال الجزيل أسرى المسلمين، وفرض العطاء للمولود والفطيم وحتى للسجناء والغائبين، ورفع الأجور الضعيفة وكفل حاجات العلماء وطلاب العلم حتى يتفرغوا لطلب العلم، وفرض للمؤذنين أجور مجزية، وأمر برفع أسماء الموتى من العطاء. ومنع المسئولين في الدولة الجمع بين راتبين، حتى لم يبقى فقير ولا محتاج. فالكل يعيش في مستوى كريم من العيش. فقد كان عمر ابن عبد العزيز ـ ﷺ ـ يأخذ أموال الزكاة ويضعها في مصارفها الشرعية وسوى بين المستحقين في الحصول عليها. بل إنه بلغ في العطاء ما لم تبلغه أمة قبله أو بعده، حتى في زمننا الذي نعيش فيه، حيث أعلن في أقطار دولته المترامية الأطراف أنه من أراد الزواج ولم يستطع القيام بنفقاته المالية فبيت مال المسلمين يكفيه ذلك. فبهذه السياسة الرشيدة عمَّ الرخاء المسلمين في أطراف دولتهم الكبيرة، القائمة على العدل وإيصال الحقوق، حتى استغنى الناس جميعا، فالمتتبع لحياة هذا الحاكم العادل يذهل في الإجماع التاريخي الذي يحدثنا عن اختفاء الفقر والفقراء في عهده المبارك. فقد اغتنى الناس في دولته من المحيط الأطلسي إلى غرب الصين. فكان ـ ﷺ ـ يحث الرعية على المشاركة في رفع الظلم وإشاعة العدل ووضع الرعية والولاة وجها لوجه أمام مسؤوليتهم المشتركة في نبذ الخطأ والتزام الصواب، واسلم نواصي الولاة والأمراء والمسؤولين للرعية ليقودوهم لطريق الحق في حال زلوا. وقد بلغ به إشراك الرعية في إدارة الحكم وترغيبهم في ذلك أنه كان ـ ﷺ ـ يرصد الأعطيات الجزيلة لكل من يدُل على ما يصلح به أمر عام أو خاص، وقد أعلن هذا في صعيد عرفات ليكون من يبلغ عنه وينقل توجهه وفكره لكل أقطار الدولة الإسلامية. فقد كان هذا الحاكم العابد الورع يرى الأمور بنور من ربه ـ ﷻ ـ ، فلم تحبسه الصوامع عن النزول لمعرفة وتفقد أحوال الرعية، فقد كان ـ ﷺ ـ يتتبع مواضع الحق كما يتتبع الطير الندى والكلأ.

رابعا- الدروس المستفادة من منهج عمر ابن عبد العزيز - ﷺ - في القضاء على ظاهرة الفقر

جعل عمر ابن عبد العزيز - ﷺ - القرآن الكريم والسنة المطهرة وهدي الخلفاء الراشدين خريطة يتبعها لإحقاق الحق وإفشاء العدل في ربوع الدولة التي يحكمها، فقد كان يقدر الإنسان ويدرك عبئ مسؤولية حكم الرعية . فمن سيرة هذا الخليفة العادل نستنتج مجموعة من الدروس التي كان لها الأثر الكبير في تحقيق الإنصاف والقضاء على الفقر في عهده، وهي كالتالي:

1 - ترعرع هذا الخليفة في وسط يقدس طلب العلم ومجاورة الصالحين، كما كانت له نفس تخشى الله - ﷻ -؛ وبهذا قدم مصلحة وراحة رعيته عن نفسه.

2 - امتلك عمر ابن عبد العزيز - ﷺ - حسا إنسانيا مرهفا مع شخصية قيادية قوية.

3 - كان عمر ابن عبد العزيز - ﷺ - حاكماً مدنياً رحيماً لا عسكرياً باطشاً.

4 - التدرج في هرم السلطة: فقد حكم في البداية مدينة خناصرة في سوريا، ثم أصبح والياً على المدينة المنورة، ثم حكم الحجاز كلها وبعد عزله أصبح مستشاراً مقرباً من الخليفة مما ساعده على اكتشاف مواطن الضعف والقوة في الدولة الإسلامية ثم بعدها حكم الدولة الاسلامية من شرقها إلى غربها.

5 - عزل - ﷺ - الولاة الفاسدين وأحاط نفسه بالبطانة الصالحة من الأكفاء والعقلاء، كما رفع رواتب الولاة ليتفرغوا لشؤون الرعية.

6 - فتح الأبواب للشورى بين الرعية والحاكم وهذا أعلن عليه في مناسبات الحج؛ أين يجتمع الناس من كل نواحي الدولة الإسلامية ليبلغوا عنه وصيته.

7 - ألغى الامتيازات المقدمة لأقاربه وعشيرته، ورد هذه الأموال إلى خزينة الدولة فقد بدأ من نفسه ولم يستثني منها أحداً.

8 - متع الولاة والمسؤولين باللامركزية في التسيير لكي لا تتعطل مصالح الناس مع محاسبة شديدة عن الزلات والظلم.

9 - كان لا يجعل شرطياً أو حارساً بينه وبين من يبلغه مظلمته.

10 - متع المال العام بقدسية وحرمة عالية يتساوى فيها الدينار والإلف؛ كونه حق عام شائع للضعفاء والمحتاجين.

11 - أمر عمر ابن عبد العزيز - ﷺ - بالبحث عن الفقراء والمحتاجين ليأخذوا حقوقهم.

12 - أمر - ﷺ - بأن تعطى الأرض لمن يخدمها.

13 - ألغى الضرائب على الإنتاج الزراعي وحارب الاحتكار، مما خفض الأسعار وأنعش العرض والطلب في السوق.

14 - في عهد عمر عبد العزيز - ﷺ - كانت الحريات مكفولة للمسلمين وغيرهم.

تبنى عمر ابن عبد العزيز ـ ﷺ ـ سياسة إحقاق الحق ورد المظالم والسعي إلى رفاه الرعية، فكان يسوس رعيته كأب حان يدرك أن منهم القوي والضعيف والعزيز والذليل والمريض والصحيح والفقير والغني والعجوز والشاب والأرملة واليتيم والقريب والبعيد، فقد أحسن التعامل مع المجتمع غير المتجانس في طبيعته، ولعلمه أن الضعفاء والأقل حيلة من الناس هم من يقع عليهم الظلم والاستبداد فرأى أن يفتح لهم أبواب قصره للإدلاء بهمومهم ورفع مظالمهم إليه.

ومما يستفاد أيضاً من تجربة هذا الخليفة العادل ـ ﷺ ـ هو الأمانة العالية والعدل؛ اللتان تحلى بهما على أموال المسلمين، فكانت الفارق الحاسم بين سياسته وسياسة غيره في الحكم. ونتيجة لسياسته الرشيدة تحقق له القضاء على الفقر واجتثاث الجذور المؤدية إليه من فساد وظلم ونهب فلم يلجأ إلى جهة خارجية لطلب الدعم أو الحصول على برنامج للتصحيح والتنمية، بل اعتمد على إرجاع أموال الدولة من أيدي اللصوص وردها على فقرائها ومحتاجيها، فهذا هو دور الحاكم العادل الذي يسعى جاهداً إلى أن يعم الرخاء رعيته وليس أن يفكر في نفسه وعشيرته دون الاهتمام لمسؤولياته الحقيقية.

4ـ خاتمة

الفقر ليس قدر الدول النامية والفقيرة ولا مصيرها الذي لا مفر منه، بل السياسات المتبعة والفكر المسيطر هو ما يحول دون الوصول إلى حلول نهائية لهذه المشكلة الكارثية. فالفقر ليس سبباً للمشاكل التي تتخبط بها الدولة، بل هو نتيجة للسياسة الفاسدة والنهب الذي يقع على الأموال العامة، وسوء تسييرها حتى تظهر الطبقية في المجتمع، فتجد البطانة الفاسدة ينهلون من مال الشعب دون حسيب ولا رقيب ويبقى الضعيف والمحتاج بعيداً عن حقوقه ويعاني من التهميش والعزلة.

فمن خلال تتبعنا لسياسة عمر ابن عبد العزيز ـ ﷺ ـ وإنجازه العجيب الذي حير العلماء والمؤرخين في قدرته على استيعاب هذه الظاهرة والقضاء عليها؛ نجد الكثير من الفوائد التي يجب أن يبنى عليها النظام العادل، فالحاكم هو المسير ومن بيده الحل والعقد وعليه يجب أن يكون ذو أخلاق عالية يفضل مصلحة رعيته على نفسه، ويرى أن هذه المسؤولية هي عبئ يجب التعامل معه بعدل وليس مزرعة يجني منها هو وبطانته دون وجه حق. ومن هنا يتضح أن صلاح أحوال الرعية موقوف على صلاح رئيسهم وحسن قيادته؛ فالفقر ليس أمراً حتمياً ومستمراً على الدوام، وإنما زائل ومنقطع بناءاً على حسن تدبير الحاكم ونظرته العميقة في حق الضعيف في المال العام، وهو أول من يجب أن يستفيد منه وليس الفاسدين من المسؤولين المنتفعين من حقوق هؤلاء الضعفاء.

حكم عمر ابن عبد العزيز ـ ﷺ ـ سنتين وخمسة أشهر واستطاع أن يحقق مالم تستطع حكومات أن تفعله خلال عقود من الزمن. فهذا الحاكم العادل لم تكن له معجزة وإنما هو علمه وإدراكه وخشيته لله ـ ﷻ ـ ، فقد كان يحمل هم رعيته أكثر من هم أبنائه ونفسه حتى وفر لهم أسباب العيش الكريم في ربوع

دولته. في حين نجد عكس هذا الحال في الدول النامية والفقيرة أين يتمتع الحاكم وعشيرته وطاقمه بكل الامتيازات؛ إذ يحصلون على قروض ضخمة وأراضي شاسعة من أموال الشعب دون أي حس بالمسؤولية؛ كونهم يتشاركون في الظلم والفساد وليس في نيتهم صلاح حال الرعية بل صلاح أحوالهم. وبهذا يكون الفقر نتيجة حتمية لهذه السياسات الجائرة، وللقضاء عليه لابد من اجتثاث جذور الفساد الذي يأخذ حق هؤلاء الفقراء ويمنع وصوله إليهم، ثمَّ يتمُّ تعيين مسؤولين ثقات وأكفاء تحت حاكم ذو رؤية وضمير يحب الضعيف وينصره، ويسعى لنشر العدل وتعميم الرخاء، ونوصي باتخاذ ما قام به هذا الخليفة العادل نموذجاً في التسيير والحكم وإدارة الدولة والمال العام.

5ـ قائمة المراجع:

1-ابن عبد الحكم المصري. (1984م). *سيرة عمر بن عبد العزيز* (المجلد السادسة). (أحمد عبيد، المحرر) بيروت: عالم الكتب.

2-أبو القاسم علي ابن عساكر. (1995م). *تاريخ دمشق* (الإصدار الجزء 57، المجلد بدون طبعة). (عمرو بن غرامة، المحرر) دمشق: دار الفكر.

3-الأصبهاني أبي نعيم. (1409هـ). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. بيروت: دار الفكر.

4-الشيخ عبد الستار. (1996م). *عمر ابن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين* (المجلد الثانية). دمشق: دار القلم.

5-الطبري محمد بن جرير. (1387هـ). *تاريخ الرسل والملوك* (الإصدار 11، المجلد الثانية). بيروت: دار التراث.

6-الطرطوشي أبوبكر محمد. (1872م). *سراج الملوك* (المجلد بدون طبعة). مصر: بدون.

7-الفايز مفلح النمر. (2011). *آثار عمر بن عبد العزيز الأدبية*. الإمارات العربية المتحدة: دار المنهل.

8-النووي أبو زكريا. (بلا تاريخ). *تهذيب الأسماء واللغات* (الإصدار الجزء:2، المجلد بدون طبعة). بيروت: دار الكتب العلمية.

9-رمضان زبيري. (2015). *العولمة والبنى الوظائفية الجديدة للدولة* (المجلد الأولى). عمان: مركز الكتاب الأكاديمي.

10-شمس الدين الذهبي. (1985م). *سير أعلام النبلاء* (الإصدار الجزء5، المجلد الثالثة). (شعيب الأرناؤوط، المحرر) دمشق: مؤسسة الرسالة.

11-محمد ابن سعد. (2001م). *الطبقات الكبرى* (المجلد الأولى). (محمد عمر، المحرر) مصر: الشركة الدولية للطباعة والنشر.

12-مصطفى ابراهيم، و اخرون. (1384هـ). *المعجم الوسيط*. القاهرة: دار الدعوة.